رواية الحسناء

زنوبيا

الرسالة الثانية

اخشى ان اكون اطلت عليك الكلام في رسالتي الاولى ايها العزيز كورنيوس لاني اعلم بانك تحب الاختصار مثلي . ولكن عَلَى كل حال انا متأكد بان العزيزة لوسيليا لا تزعجها الاطالة فاهديها الان سلامي الخالص — لها ولجانوس الصغير . وكتابتي هذه لك دليل واضح عَلَى اني في صحة جيدة

قلت لك اننا وقفنا قليلاً عَلَى تلك التلة وفي محلات غيرها للاستراحة والنظر الى ما حولنا من جمال الطبيعة الذي خلب البابا . ولذلك ما قدرنا ان نصل لاسوار المدينة الاَّ واشعة الشمس الاخيرة عَلَى وشك المغيب . وكان في وداعها اعالي البنايات الشاهقة . منظر هو الجمال بعينه . اشعة كسيول من ذهب تتدفق عَلَى المدينة والسهول والجبال . فتزيدها رواء وجمالاً . وبالجملة فان ما كنت اخمنه عن الشرق ومجده قد تحقق امام عيني بل فاق تخميني بكثير . وبالاخص عندما وصلنا للبوابة الرومانية — كما يسمونها — حيث مدخل المدينة . اذ رأيت اسواراً اعلى وافخم من اسوار روما . تعلوها ابراج مربعة حصينة

دخلنا من هذه البوابة للمدينة . فوجدنا شارعاً طويلاً واسعاً تزينه القصور الفخيمة من عَلَى جانبيه وينتهي ببوابة ثانية كالاولى وكنت ارى ساحات عديدة في هذا الشارع مسقوفة ومعدّة للاجتماعات العمومية ولالقاء الخطب واشاهد بين هذه البنايات التي كلها من الرخام المنحوت نحتاً يونانياً — اذ المدينة ملآنة باشهر النحاتين اليونان — المعابد والمياكل الجميلة وسرايات الحكومة الواسعة و بساتين وحدائق نيلاء تدمر

وبينما انا اتفرج قال لي ميلو عبدي وهو ينظر بانجاب الى ما حوله — انه من حسن حظ تدمر ان الامبراطور لم يسر في هذه الطريق ولم يزر هذه المدينة مثلنا

— ولماذا يا ميلو

لا لشيء ولكنه كان بدون ريب يحرقها ويخرب ما فيها . الم توجد مدينة في الدنيا تسمى فوطيجته . قيل بان هذه المدينة كانت اكبر واعظم من روما وكانت مزدانة باوسع المياكل ولذلك انزل الرومان بها الدمار ومحوها من سفر الوجود . فاورليان عَلَى ظني لم

يخطر في باله اي مجد ينتظره هنا في الشرق والا لم يضع وقته سدى في محاربة الجوث الجرمان المتوحشين

— الرومان اليوم ليسوا ببرابرة كما كانوا بل اصبحوا يرون بدلاً من ان يهدموا ، الا تعرف بان اغسطس اعاد بنا قرطجنة ، وانطونين الاول بنى ذلك الهيكل العظيم القائم في بعلبك ، ور بما يكون بعض هذه الآثار التي في المدينة من اثاره الطيبة

هنا صرخ ميلو بدون ان ينتبه لقولي الاخير — يا لله ! كيف نقدر ان نجعل دوابنا تسير في هذا الازدحام ، والذي يغيظ انهم لا يفتحون لنا كأننا لسنا رومانيين ، عربات ، ودواب ، وناس بالبسة مختلفة من كل البلدان ، منظر جميل ! ولكن ليتهم يسرعون فقط بالسير ، ثم نادى رجلاً كان يسير امامنا على جمل وطلب منه ان يفتح طريقاً لنا ليبلغ جربكوس ، فادار راكب الجمل رأسه المغطى بعمامة ونظر لميلو نظرة منكرة وطلب منه ان يحفظ السلام ، وخاطبه بضمير الغائب قائلاً : الا يظن حضرته ان الطريق مزدحم ؟ فاجابه ميلو — نعم اراه ملآنا بقوم كسالى يحتاجون لسوط روماني ليعلمهم سرعة الحركة ، ، اعرني نبوتك وانا اجعل دوابك واجعلك انت ايضاً تسير ، والاّ فاعلم باننا اجانب ورومان يجب ان تعتبر

فصرخ الرجل غاضباً — رومان !! فلتنزل عليكم اللعنات ، انتم كالجراد تنتشرون هنا ومثله لا تأتون الاّ للالتهام ، خذ مني نصيحة ، در بوجهك الى الوراء ، والصحراء اهرب وانج بنفسك ، او مر — اذا كنت تود المرور — ولهجة حسن العربي ترافقك

عندئذ قلت لميلو — ميلو ، ما هذا ، احذر من اغاظة هؤلاء الشرقيين ، نحن لسنا بروما ، فألجم لسانك والزم الصمت ، والاّ ينفصل رأسك عن عنقك وانت لا تدري

فاجاب بشيء من الكبر — انني عبد ليس الا ، ولكني آكل خبزاً رومانياً فلي شيء روماني

وما زلنا سائرين حتى مررنا امام هيكل المثل ، حيث التماثيل والرموز التي عليه لا تدل الا على ذلك ، وكان بقرب هذا الهيكل قصر محاط بالاشجار الباسقة والزهور العاطرة ، وكان هذا القصر قصر جربكوس حيث اقصد النزول ، فعرجنا على شارع ضيق ، وجدنا مشينا قليلاً ، مررنا من تحت بوابة هائلة الكبر ، ثم وجدنا انفسنا امام ذلك القصر الفخيم ، فحالاً احاط بنا العبيد ، ومن نشاطهم وسرعة عملهم ومساعدتهم لي في الترجل والمطهر ترجايهم علمت بان رسائلي وصلت الى اصحاب القصر فتبعني بقدومي